عبقرية التخطيط فى تاريخ السيرة النبوية. فى ضوء سيرة ابن هشام

د. راوية عبد الحميد حسانين شافع*

المقدمة:

شغلتِ السِّيرةُ النَّبَويَّة حيِّزاً كبيرا من الكتابات التاريخية على مر العصور، ولم تزل الى اليوم تفصح لنا عن الجديد ، فى كافى مناحى الحياة السياسية ، والإجتماعية ، والعلمية والإقتصادية ، فنادرا مانجد من يتطرق الى الكتابة فى التاريخ الإسلامى ، وبخاصه عن صدر الإسلام والخلفاء الراشدين ، دون العروج الى الإستشهاد بتاريخ السيرة وصاحبها ﷺ، متمثلة فى أقوى مصادرها على الإطلاق وهو القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والتى تلى القرآن الكريم فى الأهمية ، واللذين قدما لنا الكثير عن سيرته ﷺ، ولكن معظمها جاء فى صورة مجملة ، وكلا المصدرين وثقا للسيرة النبوية ، ولكن كان معظمها فى الجانب التشريعى والفقهى أكثر من الجانب التأريخى ، وتعد سيرة ابن اسحاق (١) من أوثق كتب السيرة المتخصصة التي وصلت إلينا ، والتي تم نشرها خلال العقدين الأخيرين، فهو حجة في المغازي ، رغم ما ذكره منتقديه فى عصره ، وبخاصة ـ المحدثون ـ من وجود أشياء كثيرة فى كتاباته ، تخالف المنطق ، وتميل الى الأسطورة ، إلا أنهم رغم ذلك ، نهلوا من أحاديثه فى كافة أمور العقيدة والشريعة والتأريخ ، ولهذا يعد ابن اسحاق من أول وأهم من كتب فى السيرة النبوية ، وعرف كتابه بسيرة ابن إسحاق ، ولكن إسمه الأصلى '' المبتدأ والمبعث فى المغازى'' ، ضاعت معظم كتاباته ، إلا من شذرات قليلة ، ثم جاء ابن هشام (٢)

* أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى ، والحضارة الإسلامية – كلية الآداب – جامعة حلوان

،فجمعها ثم حذف منها ما رآه غير صالح ، وبصفة خاصة العديد من الأشعار ، ووضع بصمته وإضافاته ، فاختلف العمل تماما ، حتى كاد الناس ينسون ، صاحب السيرة الأصلية ابن إسحاق ، وأشتهرت وسميت بسيرة إبن هشام .

ولهذا ترددت كثيرا وأنا أضع عنوانا للبحث وبخاصة فى شطره الثانى ، هل أضع (فى ضوء سيرة ابن إسحاق) ، (أم أضع فى ضوء سيرة ابن هشام) حيث صاحب السيرة الأصلى محمد بن إسحاق، والسيرة أشتهرت بجامعها ومهذبها وباعثها من جديد ، محمد بن عبد الملك بن هشام ، وفى النهاية أستقر رأيى ، على الرأى الثانى ، لعدة إعتبارات أهمها على الإطلاق ، أن المشهور ، والشائع والمتداول قديما وحديثا هو الأخذ بعنوان سيرة ابن هشام، أما توثيق ونسب الروايات فى متون البحوث فينسب معظمه الى إبن اسحاق ، كما نقلها ابن هشام نفسه عنه ، فى كتابه.

وإذا كان هناك خلافا وبصفة خاصة بين المحدثين ـ الذين اشتغلوا بعلم الحديث ـ حول محمد بن إسحاق ، فى طريقة وأسلوب تناوله للسيرة النبوية (٣)، إلا أن هناك إتفاقا وإجماعا على إمامته للمغازى والسير ، ولم يضعه أهل الحديث رغم هذا الخلاف فى مرتبة المشكوك فيه أو المكذب (٤).

وترجع أهمية موضوع البحث ، الذى اعتمدنا فى توثيقة فى المقام الأول على هذه السيرة ، فى أن التخطيط فى تاريخ السيرة بمرحلتيها المكية والمدنية ، والذى قام به الرسول ﷺ ، لم يكن مؤيدا بوحى إلهى ، وإنما كانت إجتهادا بشريا فى المقام الأول له ولإصحابه.

ويحاول البحث أن يؤكد على حقيقة تاريخية هامة وهى أنه ﷺ لم يقطع يوما برأى أثناء التخطيط والإعداد للغزوات والسرايا ، إلا بعد أن يأخذ رأى الصحابة جميعا الشباب والشيوخ بل وأحيانا النساء ، كما حدث

فى الواقعة الشهيرة عقب إنشقاق الصحابة عليه فى أعقاب صلح الحديبية ، وأخذه ،ﷺ برأى أم المؤمنين السيدة أم سلمة ، والعجيب فى هذا الأمر أن الرسول ﷺ كان أحيانا يؤيد بوحى أو برؤيا ، ورؤيا الأنبياء صدق ، كما حدث فى غزوة أحد ، ولكنه كان ينزل على رأى الصحابة وعلى إجماعهم ،فقد نزل على رأى مجموعة من شباب الصحابة ، فاتهم السبق وشرف الجهاد فى غزوة بدرالكبرى ، وغلب عليهم حماس الشباب المتعطش للجهاد فخرج ، وكان ماكان من مخالفة خطته العبقرية كما سنرى ، ورغم ذلك لم يؤثر عنه أى توبيخ أو عقاب لمن خالفه الرأى ، وإنما فقط العبرة والعظة واكتساب الخبرة لما هو قادم.

وقد حرصت كثيرا فى هذا البحث ، الإبتعاد عن الجزء الخاص بمعجزات الرسول ﷺ ، والإقتراب بصورة أكبر من الجزء البشرى الخالص فى التحضير والتخطيط للمعارك الحربية والسرايا ، وقد يسأل سأل هنا ، لماذا الإبتعاد عن الجزء المدعم بوحى وبمساندة الهية ، وهى كثيرة جدا فى أحداث السيرة النبوية ، والحقيقة التى يراها البحث أن هذا الجزء فى أحداث السيرة أمر مفروغ منه ، سواء كان تم تناوله بصورة صحيحة ، أو بمبالغة لا نريد الخوض فيها ، حيث تناولتها العديد من الكتابات والدراسات ، علاوة على أن الجانب البشرى الخالص فى عبقرية الرسول ﷺ تبرز العديد من مواقف الصحابه فى دعمه ، وميله فى الكثير من المواقف بالأخذ برأى وخطط صحابته الكرام ، وهو ما يريد البحث أن يؤكد عليه فى الأخذ والرد والنقاش ، بل الإختلاف أحيانا.

وهو ما دفع الصحابى أبو هريرة رضى الله عنه أن يذكر فى هذا الموقف قائلا '' ما رأيت أحدا قط أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله'' ﷺ (٥)، فقد شاهد الصحابة القائد والمعلم ، ولمسوا بأيديهم وشاهدوا بأعينهم ، وشاركوا فى وضع الخطط ، وكيف كانت تدار ، وهو ما أكسبهم الخبرة العملية على أرض الواقع ، والتدريب الميدانى اللازم ،

الذى أصبح النواة الأولى لهم فى مستقبلهم القريب ، استعدادا للمهمة الكبرى التى كان ﷺ يعد العدة لتخريج هؤلاء القادة العظام ،ولا نقصد بعبقرية التخطيط الحربية هنا ، خطط الرسول ﷺ وحده ، وانما الخطط فى تاريخ السيرة النبوية بصورة عامة ، أى الرسول ﷺ ، والصحابة أيضا .

وقد باشر الرسول ﷺ معظم الغزوات بنفسه ، وكان القائد الأعلى لها ، وأيضا أتاح الفرصه لبعض الصحابة ممن كان يتوسم فيهم ، القدرة على تحمل المسؤلية تبعا للموقف وطبيعة الغزوة أو السرية ، وكان هو الذى يختار القائد ، ويعلمه بالخطة التى يجب أن يتبعها ، ويسمع منه أيضا وجهة نظره فيما هو مقدم عليه ، وكان النصيب الأكبر فى الغزوات لقيادة الرسول ﷺ ، أما السرايا فكان النصيب الأكبر فيها للصحابة .

وقد بلغت العمليات الحربية ، من الغزوات والسرايا ما يقارب الستون عملية ، وبلغ عدد الغزوات التى قادها الرسول ﷺ بنفسه حوالى سبع وعشرين أو ثمانى وعشرين غزوة ، وقد أجمع المؤرخون على أن هذه الغزوات والسرايا كانت فيما بين سنى ٢-٩هـ ، أى جميعها فى الحقبة المدنية ، أى أن عمر هذه الغزوات والسرايا جميعا حوالى سبع سنوات ، وهو فى حد ذاته إعجازا بشريا ، أن نرى هذا الكم الهائل من الغزوات والسرايا ، فى هذا الوقت الزمنى القصير جدا بمقياس العمليات الحربية ، التى عرفتها البشريه على مر التاريخ .

وقد كانت كل حروب الرسول ﷺ دون استثناء حروبا دفاعية ، حيث لم يؤثر عنه ﷺ إطلاقا أنه بدأ بالحرب ، وإنما كانت معظم حروبه رد فعل للعدوان الذى وقع بالفعل أو سيقع ، وحتى أول الغزوات الكبيرة ، وهى غزوة بدر لم يكن الخروج من أجل الإشتباك أوالحرب ، والدليل على ذلك قلة عدد المسلمين بالقياس لعدد المشركين ، والجميع

يعرف أن الهدف الأساسى ، هو إسترداد حق المهاجرين الذى سلبته قريش غصبا وإقتدارا.

وإذا ما تحدثنا عن الجزء الحربى فى حياة الرسول ﷺ ، والذى شغل معظم الحقبة المدنية ، أى بعد الهجرة وتأسيس الدولة الجديدة بالمدينة ، يمكن أيضا أن نذكر ونحن مطمئنون غاية الإطمئنان أن البدء بالحرب لم يكن تشريعا بشريا إنفرد به الرسول ﷺ ، وإنما هذه الخطوة المهمة ، كانت وحيا إلهيا ، حيث وقع الإعتداء كثيرا على المسلمين ، وهم فى المدينة ، وكانوا من القوة والبأس ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم على الأقل ، لكن الرسول ﷺ يعرف أن الحرب لا بد أن تكون إذنا إلهيا ، ويدعم رأينا هذا ما جاء فى قول الحق سبحانه وتعالى ''أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (39)**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (40)**(٦).

وهكذا لم يحمل المسلمون السلاح للقتال ، إلا بأمرمن الله سبحانه وتعالى (٧). ، وذلك فى أعقاب سرية نخلة (٨) . ورغم أنه الرسول والمعصوم ، حار فى ذلك الأمر كبشر ، لا يعرف كيف يتصرف فى هذا الأمر الجلل ، الذى استجد على المسلمين ، فأمر بربط الأسيرين ، وعزف عن استلام الفىء ، حتى يحكم الله فى هذا الأمر ، وهنا نبرز بإختصار موقف قريش من ذلك الحدث ، والذى استغلته أسوأ استغلال ، للتشهير بالمسلمين وبالدعوة ، حول إختراقهم لمواثيق الأشهر الحرم.

ويذكر ابن كثير فى تفسيره قائلا :- قال العوفى نقلا عن ابن عباس '' نزلت هذه الأية فى محمد وأصحابه ، حين أخرجوا من مكة ''، وقال غير واحد من السلف ، هذه أول أية نزلت فى الجهاد (٩). وهو ما أيدته معظم كتب السيرة النبوية التى أرخت للغزوات والسرايا .

ويذكر د/ مهدى رزق الله ، حول خطة الرسول ﷺ فى هذه السرية ـ سرية نخلة ـ عدة نقاط تبرز عبقرية التخطيط للرسول ﷺ ، وصحابته الكرام ، ويقول : '' إن استخدام الرسول ﷺ أسلوب الرسائل السرية ، دل على مشروعية الأخذ بالأسباب ، ودل على سبق الإسلام فى استخدام هذا الأسلوب ، الذى لم يعرفه الغرب ، إلا فى الحرب العالمية الثانية ''. (١٠). ويضيف د/ رزق الله حول نفس الموضوع قائلا : '' لقد كانت سرية نخلة أول عملية توغل قريبا من مكة ، مركز العدو ، ولذا فهى عملية فدائية ، قامت على الطواعية ، إذ لم يجبرعبد الله بن جحش قائد تلك السرية ، أحدا من أفرادها على المضى فى الخطة المرسومة فى رسالة النبى ﷺ السرية '' (١١). وترجع أهمية سرية نخلة ، فى أنها كانت السبب المباشر ، لأهم غزوات المسلمين على الإطلاق ، غزوة بدر الكبرى.

والمتأمل لتاريخ السيرة النبوية ، يجد أن دعوة الإسلام بنيت على السلام منذ بعثته ﷺ فقد قضى الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة فى مكة ، قبل أن يهاجر الى المدينة ، لم يشهر فيها سيفا منه أو من صحابته ، وربما يرد البعض هنا : أن المسلمين فى هذه المرحلة كانوا مستضعفين ، ولا يستطيعون الزود عن أنفسهم ، والرد هنا حتى المستضعفين أحيانا يردون بما تيسر لهم من الرد ، وسنرى فى تلك المرحلة المكية ، كيف أن الرسول ﷺ استخدم التخطيط المناسب والملائم لهذه المرحلة ، والتى تبتعد الى حد كبير عن المواجهة والصدام المباشر مع أئمة الكفر فى مكة.

وقبل الإسترسال فى موضوع البحث ، لا بد من إبراز الأهمية فى إختيار الموضوع ، وهى محاولة لإلقاء الضوء على التخطيط ، وبصفة خاصة التخطيط الحربى ، بين الرسول ﷺ ، والمشركين ، وهم الذين حازوا الشق الأكبر من الغزوات والإلتحام معه ﷺ.

وقد لاحظت من خلال القيام بتدريس مقرر السيرة النبوية لسنوات عديدة ، وهو من المقررات القليلة التى تمد الباحث بأفكار لا تنضب ، حول السيرة وصاحبها ، وهى من الفوائد الجمة التى ربما لا تتكرر كثيرا مع المقررات الدراسية الأخرى ، وذلك للباحث ، الذى يحاول جاهدا ، البحث عن نقاط جديدة بعد أن ضاقت البحوث العلمية بمرتاديها ، وهو ما يحاول الباحث فيه ، استقراء النصوص من مصادرها ، واستخراج الجديد منها ما ساعدته.

وليس تحيزا لصاحب الرسالة الخاتمة ، وإن كان التحيز أحيانا يغلب على المرء تبعا لمعتقده الدينى من ناحية ، ولعظمة صاحب السيرة من ناحية أخرى ، فلم يكن الرسول ﷺ صاحب رسالة عظيمة ختم الله بها رسالاته السماوية ، وإنما كان قائدا حربيا فذا ، صاحب مدرسة ، تم فيها إعداد أعظم القادة ، ممن عرفهم تاريخ البشرية ، فقد كان يعرف ﷺ منذ البداية أن هذه المدرسة العلمية والعملية ، بالتعلم على أرض الواقع ، هى التى ستفرخ للعالم من بعده هؤلاء القادة العظام ،الذين علموا العالم روح الفروسية ، فى حروبهم قبل أن يعلموهم قوانين العلوم العسكرية ، التى لا تعرف فى الكثير من موادها ، ما تحمله من أدب محمدى ، كان هو الأبرز فيها. ومن هنا لاحظت أهمية اللجوء الى التخطيط والإعداد الجيد ، نفسيا وماديا ، وعدم التواكل والاستناد الى الغيبيات ، وإنما الأخذ بالأسباب بقوة ، وقد كان الإعداد النفسى هو الأبرز فى معظم المواقف ، بالإقدام والمشاركة والإستماع الجيد والتنفيذ ، وهو ما أسفر عن تخطيط رائع وصل الى حد الكمال فى كثير من المواقف.

أولا:- التخطيط فى المرحلة المكية.

كان التخطيط فى المرحلة المكية ، مختلفا تماما عن المرحلة المدنية ، بما يتناسب مع طبيعة المرحلة كما أسلفنا من عدم نزول الأمر بحمل السلاح.

وبدأت أول مراحل التخطيط لنشر الدعوة ، بما عرف فى تاريخ السيرة النبوية ، بالمرحلة السرية ، وهى عقب تلقى الرسول ﷺ ،الآوامر الألهية بتبليغ الدعوة ، كما جاء ذلك فى سورة المدثر ''يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر''(7). (١٢). وقد ذكر ابن اسحاق:- أن الدعوة السرية ظلت لمدة ثلاث سنوات ، وفى ذلك يقول '' وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به ، الى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين – فيما بلغنى – من مبعثه'' (١٣).

وعرفت هذه المرحلة السرية بمرحلة التحرك فى نطاق الأهل والأصدقاء والموالى والمقربين بوجه عام. وقد عد ابن هشام من دخل فى الإسلام فى هذه المرحلة السرية ، أكثر من أربعين نفرا (١٤)، وهم من أطلق عليهم فيما بعد السابقون الأولون . وقد اختلف اليعمرى مع ابن هشام فى الرقم وذكر أنهم أكثر من خمسين (١٥) . وكانت هذه المرحلة والتى اشتهرت تاريخيا بمرحلة الإضطهاد والتعذيب وبصفة خاصة للمستضعفين من الرقيق والموالى ، لا يملك الرسول ﷺ ، فيها سوى الدعاء بالتثبيت لهؤلاء المستضعفين ، أو التبشير بالجنة كما حدث مع أول شهيدة فى الإسلام ، وهى سميه بنت خياط (١٦).

ويقول د/ البوطى حول هذه المرحلة ، وأسلوب الرسول ﷺ فى هذه المرحلة ، أنه اتبع أسلوبا ينم عن اتباع الأسلوب السياسى بوصفه إماما ، أكثر من اتباعه الطريقه التبليغية بوصفه نبيا (١٧)، وأن المصلحة العليا للإسلام فى هذه المرحلة كانت تقتضى المحافظة على أرواح المسلمين ، لكى يتقدموا ويجاهدوا ، والا فإن تعريضهم للهلاك ، يعتبر إضرارا بالدين نفسه ، وفتح المجال للكافرين لمزيد من الإضرار بالدين (١٨)، وهو الغاية الكبرى من التخطيط فى هذه المرحلة.

وقد كان الرسول ﷺ حاسما فى هذه المرحلة ، فى التعامل مع بعض الصحابه ممن فقد القدرة على التحمل ، فهو يعرف العناء الشديد الذى لقيه بعض المستضعفين ، ولكن لا بد من الحسم ، ومما يؤثر عنه فى ذلك ، موقفه من خباب بن الآرت (١٩). كان ممن اشتد عليهم العذاب فى مكة ، حتى أنهم وضعوه على النار الموقدة حتى أطفأها دهن ظهره ، فذهب شاكيا الى رسول الله ﷺ ، ورغم ما ذكرناه من قبل من دعاء الرسول ﷺ للمستضعفين ، الا انه فى هذا الموقف إتبع الرسول ﷺ ، أسلوبا جديدا فى الحث على الصبر ،وهو ماذكره خباب بنفسه ، ونقله عنه البخارى فى صحيحة قائلا '' شكونا الى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، قلنا له: ألا تستنصر لنا ؟ فقال: '' كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ، لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون '' . (٢٠).

ومما يتلائم من التخطيط أيضا فى هذه المرحلة ما استعمله النبى ﷺ ، فى السنة الثالثة من البعثة ، وبعد الجهر بالدعوة ، واشتداد إيزاء قريش على المستضعفين من المسلمين ، والمقصود هنا فى إتخاذه دارا للإجتماع بأصحابه وتعليمهم تعاليم الإسلام ، وهى من الوجهة الإستراتيجية بالمصطلحات الحديثة كانت من أنسب الأماكن ، فقد إتخذ دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وهى الدار التى عرفت فيما بعد بدار الخيزران ، وهى على جبل الصفا (٢١).

وقد كان اختيار الدار فى سرية تامة ، علاوة على أن الأرقم كما يذكر المباركفورى :- ''لم يكن معروفا بين القرشيين بإسلامه ، وهو ينتمى الى بنى مخزوم ، والتى تحمل لواء المنافسة والحرب ضد بنى

هاشم ، إذ يستبعد أن يختفى الرسول ﷺ وأصحابه ، فى قلب العدو ، ولأن الأرقم كان فتى صغيرا عندما أسلم ، فى حدود الست عشرة سنة ، إذ إنه فى هذه الحالة تنصرف الأذهان الى منازل كبار الصحابة''. (٢٢).

وكانت دار الأرقم تقع بالقرب من جبل الصفا ، وهى منطقة شديدة الإزدحام بالناس مما يجعل الحركة فيها تبدو طبيعية ، ومما يصعب الأمر بوجود حركة خاصة لأشخاص بعينهم يجتمعون فى مكان بعينه (٢٣). وكان كل ما توصل اليه كفار قريش حول هذه الإجتماعات السرية ، هو أن المسلمين يلتقون فى مكان معين مع الرسول ﷺ فى دار عند الصفا ، ولكن لم تحدد ، بسبب مراعاة الكتمان والسرية (٢٤).

وفى أواسط السنة الخامسة من البعثة ، جاء التخطيط الأهم ، لهجرتى الحبشة الأولى والثانية ، وكانت الاضطهادات قد وصلت ذروتها ، وكانت قد نزلت سورة الكهف (٢٥). وفيها ما فيها من إشارات الى الهجرة والفرار بالدين من القوم الكافرين ، وهنا أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة ، فرارا بدينهم ، وخطط لهم طريقة الخروج ، كما روى ابن سعد فى الطبقات (٢٦)، وهو الخروج سرا ومتسللين ، حتى لا يعلم بهم ، ويبدو أن قريشا قد علمت بطريقة أو بأخرى ، وخرجت بالفعل فى آثارهم ، حتى وصلوا الى البحر ، ولكنهم نتيجة التخطيط الجيد ، كانوا قد سبقوهم بمرحلة ، ولم يدركوهم ، حيث كانت السفينتين قد تحركت بهما.

وحول رحلة الهجرة الأولى الى الحبشة ، وكيف تمت يروى ابن اسحاق ، من حديث أم سلمة ، قالت : '' لما ضاقت علينا مكة ، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم وأن رسول الله ﷺ ، لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ فى منعة من قومه وعمه لا يصل اليه شيىء مما يكره ، مما ينال

أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل لكم الله فرجا ومخرجا مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، أمنا على ديننا ، ولم نخش منه ظلما ...'' (٢٧).

وفى هذه الهجرة ، والتى عرفت تاريخيا بالهجرة الأولى الى الحبشة ، أمر النبى ﷺ عليهم ـ رغم قلة عددهم ـ كما ذكر ابن هشام : فلم يكن عددهم يزيد عن '' عشرة من الرجال وأربع نسوة ''(٢٨) عثمان بن مظعون ، وهو أخو الرسول ﷺ فى الرضاع (٢٩).

كانت الهجرة الى الطائف فى تلك المرحلة ، من أهم القرارات التى اتخذها النبى ﷺ ، وخطط لها جيدا ، حيث ضاقت عليه مكة بما رحبت ، ووجد رؤوس الكفر الفرصة سانحة للتخلص من الدعوة وصاحبها ، بعد فقده لأكبر نصيرين له ، بوفاة عمه أبو طالب ، وزوجته السيدة خديجة بنت خويلد ، فلم يكن من بد بالخروج من مكة ، لإلتماس النصرة من ثقيف ، ضد عتاة الكفر فى قومه(٣٠). ورغم أن رحلة الطائف لم تؤت بالنتيجة المطلوبة ، التى كان يريدها النبى ﷺ ولكنه عندما فكر فى دعوة سادة ثقيف الثلاثة (٣١). الذين ورد ذكرهم فى كتب السيرة ليعرض عليهم الإسلام ، ويستقوى بهم ، كان تفكيرا سابقا لعصره ، بعدم الوقوف بالدعوة عند سادة مكة ، وإنما الخروج بها الى وجهة أخرى ، وكان هذا ، أول خروج للرسول ﷺ ، خارج حدود بلده وأهله ، ولم يكن هذا الخروج الى الطائف ، بوحى من الله سبحانه وتعالى ، وإنما اجتهاد من الرسول ﷺ.

أما أخر النقاط التى نختم بها تلك المرحلة المكية، والتى اتسمت كما رأينا جميعها بالتخطيط السرى والسلمى ، واللجوء الى المهادنة والبعد عن الإحتكاك المباشر، والذى كان يناسب طبيعة المرحلة ، والتى لم تظهر فيها بصورة كبيرة وواضحة عبقرية الرسول ﷺ ، والصحابة ، كما

ستظهر فى المرحلة المدنية ، وهى مرحلة التخطيط العسكرى والحربى فى أكمل صوره. وفى تلك النقطة نتناول مرحلة عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل ، والتى أثمرت فى النهاية ، بتوقيع بيعتى العقبة الأولى والثانية .

وقد عرض الرسول ﷺ نفسه على العديد من القبائل ، يدعوهم الى الإسلام ، وأبت عليه معظم القبائل ، وكان البعض منهم رده قبيحا ، والبعض الآخر آراد التأييد طمعا فى السيادة والملك على العرب ، كما فعل بنو عامر بن صعصعة (٣٢) . وقد أثمرت بيعتى العقبة الأولى والثانية ، ولسنا هنا بصدد الحديث المباشر عن هاتين البيعتين ، وإنما ما أثمرتا عنه من ، أول تأسيس للدولة الإسلامية ، ووضع اللبنات الأولى ، وهو ما تحقق على المدى البعيد بعد هجرته ﷺ ، وذلك بالتخطيط السليم من الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، وسوف نلقى الضوء على بعض من الخطط الجديدة التى وضعت فى سبيل إنجاح وإخراج هاتين البيعتين بالصورة المطلوبة ، دون إراقة دماء فى تلك الحقبة المكية ، وقد عرف المبايعون من أهل المدينة وبخاصة فى بيعة العقبة الثانية ، والتى سميت ببيعة الحرب ، ما هم مقدمون عليه من قتال وعداء مع العرب بصفة عامة من كارهى الدعوة ، ومع قريش وحلفاؤها بصفة خاصة من كارهى الدعوة وصاحبها ﷺ.

ويذكر د/ البوطى حول هذا المعنى :- أن رحمة الله سبحانه وتعالى ، إقتضت بالمسلمين فى تلك المرحلة أن لا يحملهم مالا يطيقون من واجب القتال ، الى أن يوجد لهم دار للإسلام ، وتكون لهم معقل وسند يأوون اليه ، وهو ما تحقق بهجرتهم الى المدينة ، حيث أصبحت، أول دار فى الإسلام ، علاوة على تربية المبايعين على التحمل ، وتأهيلهم لما ينتظرهم من عبء الجهاد فى قادم الأيام (٣٣).

وقد تحققت كل تلك الإنجازات بفضل عبقرية التخطيط من الرسول ﷺ وصحابته الكرام فى التمهيد بتأليف القلوب وجمع الأنصار ، والذى تحقق مع أهل المدينة من الأوس والخزرج ، علاوة على المهارة الشديدة فى عقد البيعتين وبخاصة البيعة الثانية ، لأن المبايعين ، كان عددهم كبير (٣٤)، وأيضا إتخاذ السرية والحيطة والحذر (٣٥).

وبعد اتمام اجراءات البيعة ، وعقب سماع صراخ هذا الشيطان أراد أهل المدينة ـ الأنصار فيما بعد ـ وعلى رأسهم العباس بن عبادة بن نضلة (٣٦)، الإشتباك مع قريش نصرة للنبى ﷺ ، قائلا : '' والذى بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا '' ، فقال لهم رسول الله ﷺ '' لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم '' ، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا (٣٧). وهكذا رفض النبى ﷺ ، أن يعطى الأمر بالقتال قبل أن ينزله الله عز وجل، من ناحية ، وقبل الإعداد الجيد من ناحية أخرى، وهو ما تحقق فى المدينة لاحقا.

ثانيا:- التخطيط فى المرحلة المدنية.

كانت المرحلة المدنية ، هى مرحلة الحروب والصدام المباشر بين جيوش المسلمين ، وجيوش الكفار ، وقد اكتسب المسلمون الخبرة اللازمة فى تقدير ووزن كفاءة الطرف الأخر ، ومعرفة طرقه فى القتال ، فلم يؤثر عن الرسول ﷺ ، وصحابته الكرام ، أنهم ركنوا الى الوحى أو الإعتماد على الغيبيات فى كل المعارك التى خاضوها ضد أعدائهم ، بل كانوا دائما يأخذون بالأسباب ، من حيث التدريب والتخطيط والاستعداد بالعدة والعتاد ، وكانت انتصاراتهم المتوالية رغم قلة عددهم ترجع فى المقام الأول الى ، عقيدتهم التى ملأت عليهم كل جوارحهم ، والتى كان عمادها الأول الفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، ثم الإعداد الجيد ، والدراسة الوافية لنقاط القوة والضعف فى الطرف الآخر، وتقديره حق قدره ، وعدم الإستهانه به.

وقد كانت كل معركة والتحام مع العدو يعتبر نقلة نوعية بلغتنا المعاصرة ، يكتسب منها الرسول ﷺ وصحابته الكرام الخبرة العسكرية اللازمة ، للمعركة التى تليها ، ومدعمة لها حتى كانت أخر المعارك المباشرة ، وهى معركة تبوك.

ولن استرسل كثيرا فى وصف مهارة التخطيط فى جل غزوات الرسول ﷺ ، فى هذا الموضع ، وإنما ندع النصوص التاريخية هى التى تتحدث عن هذا الرأى. فلم يحمل المسلمون السلاح كما اشرنا من قبل ، إلا بأمر الله سبحانه وتعالى ، وكان هذا الأمر الألهى للدفاع عن أنفسهم بعد أن تعرضوا للظلم والتعذيب والتهجير ، وجاء الأمر مباشرا فى سورة الحج ، يقول الله تعالى : '' أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ (٤٠) . (٣٨).

وعقب نزول الأمر بالقتال ، شهدت السنة الثانية للهجرة ، أكبر كم من الغزوات على الإطلاق ، فى تاريخ السيرة النبوية ، وشهدت أكبر غزوة على الإطلاق أيضا ، وهى غزوة بدر الكبرى ، وقد وصل مجموع الغزوات فى السنة الثانية للهجرة وحدها ، حوالى ثمان غزوات ، ونستشف من كم الغزوات الكبير فى هذه السنة ، أهمية العقلية الحربية للرسول ﷺ ، فى قيادة هذا الكم الهائل من الغزوات فى عام واحد ، وأن الإعداد الجيد كان جاريا استعدادا للأمر الألهى فى أى لحظة ، ورغم أن الدولة مازالت وليدة ، وفى مرحلة التأسيس الأولى ، بها عدو عتيد متترس فى الداخل ـ والمقصود هنا اليهود ـ له تاريخ ومكانه ونفوذ وأموال وحصون وسلاح ، تقريبا هو المنتج والمحتكر الوحيد له(٣٩). ورغم كل ذلك الدولة تحتاج أن ترسى دعائمها على أسس قوية من ناحية ، وتحجيم ومواجهة قوة العدو المتربص من الخارج والداخل من ناحية أخرى ، فهذه المعارك إذا تحتاج الى قائد فذ مبتكر ، على درجة عالية

فى وضع الخطط الحربية الملائمة ، لمواجهة كل فريق بالتخطيط الملائم له ، وهو ما وضح جليا فى النصر المؤزر ، الذى كتب لغزوات السنة الثانية ، دون استثناء.

وقد بدأ الرسول ﷺ مرحلة الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، بما عرف تاريخيا بمرحلة السرايا ، وهى تحتاج من حيث الإعداد الى أعداد قليلة من جهة ، وأسلحة بسيطة من ناحية أخرى ، وهو ما يتناسب مع الإمكانيات التى تمتلكها المدينة بساكنيها من المهاجرين والأنصار ، وهم عصب العمليات الحربية فى ذلك التوقيت .

وكانت الخطة التى اعتمد عليها الرسول ﷺ فى تلك المرحلة ، هى إحداث أكبر قدر من الإرباك لقريش ومن تحالف معها ، وذلك عن طريق ضربها فى أهم نقاط قوتها ، وهى تجارتها ، وذلك بالسيطرة على هذا الطريق الحيوى من ناحية ، وعقد تحالفات مع القبائل التى تسكن هذه المناطق من جهة أخرى ، ومن هذا المنطلق يذكر ابن هشام :- أنه تم إرسال أول سرية ، وهى سرية سيف البحر ، بقيادة حمزة بن عبد المطلب ، عمه (٤٠) .

وكان عدد السرية ثلاثون رجلا ، وعدد المشركين ثلاثمائة على رأسهم أبو جهل ، لاعتراض عير لقريش قادمة من بلاد الشام ، وكاد الفريقين فى هذه السرية أن يقتتلا ، لولا تدخل مجدى بن عمرو القرشى (٤١). ولن نتناول من خلال البحث الكثير من السرايا ، لأن معظم السرايا تشابهت من كثيرا من حيث التخطيط ، وكذلك لم يظهر فيها الهدف المنشود من البحث فى إظهار مهارة التخطيط بصورة كبيرة ، وإن لم يعدم ، كما بينا منذ قليل فى أول السرايا سالفة الذكر ، علاوة على كثرة السرايا بالقياس الى الغزوات ، وهى التى وضحت فيها أهداف البحث بصورة كبيرة.

أما أول الغزوات ، والتى أجمعت عليها معظم المصادر التاريخية ، فهى غزوة الأبواء أو غزوة ودان (٤٢). وقد جاء اختيار الرسول ﷺ لهذا المكان ليكون أول إنطلاق لغزواته مخططا له بصورة جيدة ، حيث يذكر ابن هشام : أن السبب الرئيسى لهذه الغزوة هو اعتراض عير لقريش ، وتحديد موقف بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة من المسلمين ، وتحالفه معهم كى لا يعينوا قريش عليه ، وبالفعل أتت الغزوة بما كان مرجوا منها ، وكتب رسول الله ﷺ ، عهدا مع كبيرهم وسيدهم مخشى بن عمرو الضمرى (٤٣). هذا ما ذكره ابن هشام : حول هذه الغزوة ، لكن هناك سببا رئيسيا ربما غاب عن ابن هشام ، ولم يذكره ، وهو ما دفع النبى ﷺ ، أن يجعل هذه الغزوة فاتحة غزواته ، وهو الحنين والشوق الى من أودعها بيده التراب وهو مازال فى سن السادسة من عمره ، إنه المكان الذى ماتت فيه أمه ، آمنة بنت وهب ، رضى الله عنها ، وربما جاء الى هذا المكان ، ليستمد العون ولو فى صورة روحية ، ممن كتب عليه أن يفقدها منذ نعومة أظفاره ، وهو استنتاج من الباحث ربما أصاب فيه ، وربما أخطأ.

أما غزوة بدر الكبرى والتى وقعت أحداثها فى ١٣ مارس ٦٢٤م – ١٧من رمضان ٢ للهجرة (٤٤). ولن نتطرق فى هذا الموضع الى أحداث الغزوة كمقدمات وأسباب ونتائج ، وإنما سنعرج مباشرة الى التخطيط الذى أعده الرسول ﷺ فى هذه الغزوة ، وأول هذا التخطيط هو ماعرف تاريخيا ، بكيفية الاستعداد للغزوة الفاصلة بين المسلمين والمشركين ، حيث خرج ﷺفى عدة غزوات تمهيدا لهذا اللقاء الفاصل ، وهو ما سمى بمرحلة النشاط السياسى والعسكرى قبل غزوة بدر ، ومن أهم ما فعله النبى ﷺ ، لهذا الإستعداد هو عقد مجموعة من المعاهدات والتحالفات فيما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر ، معاهدات دفاع مشترك ، وذلك بالمراسلة بالمسالمة مع بنى عمرو الخزاعيين (٤٥)

.وكذلك كتابه الى أسلم من خزاعة بالمناصرة (٤٦). وكتابه ﷺ الى بنى غفار بمساندة كل طرف للأخر ضد المعتدين على كلا الطرفين (٤٧). أى تأمين حدود المدينة ، بالتحالف مع أقرب القبائل العربية على حدودها.

وقد علم رسول ﷺ '' أن أبا سفيان - بن حرب زعيم قريش وكبيرها - يأتى من بلاد الشام على رأس قافلة ، فيها تجارة لقريش ، وقال لهم '' هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ''(٤٨).

ولذلك أجمع معظم المؤرخين ، وعلى رأسهم ابن اسحاق ، والذى نقل عنه ابن هشام بدوره ، أن عدد المسلمين كان مابين ٣١٣ – الى ٣١٩ رجلا (٤٩) ، ولم يمدنا ابن اسحاق أو ابن هشام بعدد المشركين ، ولكنه جاء لا حقا فى العديد من المصادر ، والتى أجمعت على أن العدد كان حوالى ألف وثلاثمائة (٥٠).

إذا منذ البداية يعرف الرسول ﷺ الفرق الكبير فى العدد والعدة بين الفريقين ، لأنهم كما ذكرنا لم يخرجوا لقتال ، وهنا استشار الرسول ﷺ صحابته ، وأعلمهم بالموقف الحرج الذى أصبحوا فيه ، وبالفعل خاف فريق منهم المواجهة فى حرب غير متكافئة ، ولم يستعدوا لها بالعدد والعدة الكافية ، وجادلوا الرسول ﷺ دون خوف أو تردد ، بوجهة نظرهم حول هذا اللقاء . وقد ذكر لنا القرآن الكريم هذا الموقف فى سورة الأنفال ، قال تعالى : '' **كمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُون(٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)** (٥١).

وقد ظهرت الشورى ، ورسم خطة المعركة بينه وبين أصحابه ، فى أروع صورها فى هذا الحوار الذى دار بين الرسول ﷺ ، وبين كبار الصحابة ، وعلى رأسهم المقداد بن عمرو ، الذى رأى تردد بعض

الصحابة فى خوض القتال ، فبادر النبى ﷺ قائلا : '' يارسول الله ' امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد** ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه '' (٥٢).

كان هذا رأى المهاجرين ، وهنا عقب النبى ﷺ على قول المقداد قائلا '' أشيروا على أيها الناس '' (٥٣) . يريد أن يسمع رأى الأنصار ، فتحدث سعد بن معاذ ، حديث طويل ، من أهم ما جاء فيه ، '' فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله '' (٥٤). تلك كانت معنويات الجيش من كلا الطرفين المهاجرين والأنصار قبل اللقاء الحاسم ، وهو ما أطرى به النبى ﷺ على صحابته ، وشجعه على المسير الى لقاء المشركين.

ولأهمية اللقاء ، لم يسند الرسول ﷺ مهمة جمع المعلومات كما كان يفعل فى السرايا والغزوات السابقة الى أحد من الصحابة ، بل خرج ولأول مرة بنفسه مصطحبا ، أبا بكر فى سرية تامة لاستطلاع أخبار العدو ، ويذكر ابن هشام: أنهما لقيا شيخا فسألاه عن جيش قريش ، فاشترط عليهما أن يخبراه ممن هما ، فوافقا ، وطلبا منه أن بخبرهما هو أولا ، فقال : بلغه أن محمدا قد خرج وأصحابه يوم كذا وكذا ، فإن صدق الذى أخبره فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، وذكر المكان الذى فيه جيش المسلمين ، و ذكر المكان الذى فيه جيش قريش . ثم قال من أنتما ؟ ، فرد الرسول ﷺ نحن من ماء ، ثم انصرفا وتركاه يقول ، من ماء ؟ أمن ماء العراق؟ (٥٥). وهكذا حصل النبى ﷺ على المعلومات المطلوبة دون ان يكذب الرجل ، فنحن جميعا من ماء.

وبعد أن علم بنفسه ، بمكان معسكر جيش الكفار ، أرسل فى المساء على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، لجمع المعلومات المطلوبة عن العدو ، فجاءوا بغلامين يسقيان لجيش الكفار من ماء بدر ، وكان النبى ﷺ يصلى ، فاستجوبهما الصحابة ، وعمدا الى ضربهما لشكهما فى صدقهما ، وهو ماعاتبهم عليه النبى ﷺ ، وقد استنتج النبى ﷺ بخبرته فيما يحتاجه الجيش من استهلاك فى الطعام ، ومن خلال استجوابهما عن عدد الجزور التى ينحرها المشركون يوميا ، عدد الجيش ، وهو مابين التسعمائة والألف.(٥٦). وهو كان أقرب عدد ، لما جاء فى المصادر اللاحقة فيما بعد.

وتظهر موقعة بدر العلاقة الفريدة بين القائد ورجاله فى التخطيط للمعركة ، كما ذكر ابن هشام: وذلك فى الأخذ برأى الصحابه ممن لهم خبرة فى التخطيط العسكرى ، وذلك بأن الرسول ﷺ قد سبق المشركين الى ماء بدر ، ليحول بينهم وبين الماء ، وهنا أبدى الحباب بن المنذر رأيه قائلا : '' يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أم منزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة '' (٥٧). فقال الحباب : '' يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ـ قريش ـ أى أقرب ماء لمعسكر المشركين ـ فننزله ونغور ـ نخرب ـ ما وراءه من القلب ـ الآبار ـ ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون '' ، فقال رسول الله ﷺ : '' لقد أشرت بالرأى ''. وقد أخذ الرسول ﷺ برأى الحباب ، وهو ما كان له أثر كبير فى إحراز النصر .

وقد أظهرت هذه الغزوة وغيرها من الغزوات كما سنرى ، أهمية التخطيط الجيد ودراسة العديد من الأمور بين القائد ﷺ ، كما شاهدنا من دراسة لمسرح العمليات بمصطلحاتنا الحديثة ، ودراسة الطبوغرافية

الخاصة بأرض المعركة ، وتشمل طبيعة الأرض وآبارها ، وتضاريسها والموارد المتاحة فيها ، ونقاط القوة التى فى صالح المسلمين ، ونقاط الضعف التى تؤثر على الطرف الآخر ، وتوهن من عزيمته ، والاستفادة من كل ذلك لتعويض النقص العددى ، والذى لازم دائما جيوش المسلمين فى معظم غزواتهم ، وهو ما برع فيه الرسول ﷺ ، وصحابته ، الذين شاركوه التفكير والتخطيط بحرية وابداع ،دون خوف من رأى ، وخاصة إذا كان هذا الرأى يعتمد على الخبرة البشرية ، وغير مؤيد بوحى من الله عز وجل ، وهو ، ما عرفناه من الأخذ بالأسباب ، كما أمرنا الله تعالى فى قوله : ''**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.(٥٨)**.

وقد اقترح سعد بن معاذ أيضا فى غزوة بدر ، وقبل الإلتحام مباشرة ، اقترح على النبى ﷺ ، أن يبنى له عريش ـ وهو عبارة عن مكان مظلل من منتجات البيئة الصحراوية ـ وهى فكرة جديدة وذلك ليكون هذا المكان مقرا للقيادة ، ومنه تصدر الأوامر للجيش ، ومنه كما ذكر سعد بن معاذ نفسه ، إذا ماحدثت هزيمة ، أن يكون حاميا وملاذا للرسول ﷺ ، كى لا يتعرض القائد بسوء (٥٩). وهو تفكير مبدع حيث أن سلامة القائد ، هى سلامة للجيش كله ، وكم رأينا إنهيارات للمعارك الحربية عند سقوط القائد .

هذا ولم يحدث فى كل الحروب التى عرفتها البشرية ، أن يطلب الجندى من القائد ، بأن يقتص منه ، وذلك عندما نزل القائد بنفسه ليضبط صفوف جنوده ، قبل اللقاء الحاسم ، ووجد أحد الجنود يخرج عن نظام الصف .أما الجندي فهو سَوَادِ بْنِ غَزِيّةَ، لما اسْتَنْتِل من الصف ـ أى تقدم عن باقى الجنود ـ وخذه النبي ﷺ بقدح ـ القدح بكسر القاف ، هو السهم بلا ريش ـ فى يده ، وقال: "اسْتَوِ يَا سَوّادُ".. قال: يا رسول الله

،أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فَأَقِدْنِي ـ أى أعطنى القود من نفسك ، أو القصاص من نفسك ـ فكشف النبى ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: "اسْتَقِدْ".. فَاعْتَنَقَهُ فَقَبّلَ بَطْنَهُ ،فَقَالَ النبى ﷺ : "مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوّادُ؟"، قال: حضر ما ترى، فَأَرَدْتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ،فدعا له رسول الله بخير. (٦٠).

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا يحتذى به فى عبقرية التخطيط بنفسه فى الخروج لمعرفة مكان معسكر العدو ، وتفقد صفوف الجيش ، والبساطة الشديدة فى التعامل مع جنوده، علاوة على المساواة بين الجندى والقائد فى السلم والحرب ، وهو ما سارت عليه الخطط الحربية فى العصور اللاحقة ، وبخاصة فى عهد الخلفاء الراشدين (٦١).

ووضحت أيضا براعة التخطيط فى قتل كعب بن الأشرف اليهودى ، الذى كان يقرض الشعر متشببا يتغزل بفحش ـ بنساء المسلمين ، مما أغضب النبى ﷺ ، وأمر الصحابى محمد بن مسلمة بالتخطيط للخلاص من عدو الله والمسلمين .

وقد ذكر ابن هشام :- خطة قتل هذا اليهودى كاملة قائلا: '' عندما تيقن ـ يقصد كعب بن الأشرف ـ من انتصار المسلمين فى بدر ،خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار (٦٢) ، ويبكي أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا ببدر ، فقال ﷺ ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة ، من لي بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل :أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب

؟ فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا ؟ فقال :إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول : ـ أى نتكلم فى حق الرسول والدعوة لخداع الأعداء ـ قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حل من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر، أحد بني حارثة ؛ ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سلكان بن سلامة ، أبا نائلة ، فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدوا شعرا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عني ؛ قال : أفعل ؛ قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا. فقال كعب :أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ؛ فقال له سلكان :إني قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك ، ونحسن في ذلك ، فقال : أترهنونني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا إن معي أصحابا لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلقة (٦٣) . ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن في الحلقة لوفاء ؛ قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ،ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ. قال ابن هشام :ويقال : أترهنونني نساءكم ؟ قال : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ، قال : أترهنوننى أبنائكم؟

وبعد أن وضعت الخطة بدقة للخلاص من هذا اليهودى ، وسمح لهم رسول الله ﷺ بالقول والخوض فى حقه وحق الإسلام ، قال ابن إسحاق :'' فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .قال مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله ﷺ الى بيته ، وهو في ليلة مقمرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ؛ قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائما لما أيقظني ؛ فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشر ؛ قال : يقول لها كعب :لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز(٦٤). ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ـ أى وضع يده على رأس ابن الأشرف الذى يفوح منها العطر ـ ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئا. قال محمد بن مسلمة :فذكرت مغولا في سيفي ، حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار قال : فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث ـ الموقع الذى دارت فيه أخر معارك الأوس والخزرج قبل قدوم النبى ﷺ المدينة ـ حتى أسندنا في حرة

العريض (٦٥) ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا . فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه (٦٦).

ونستشف من خلال التخطيط الجيد لقتل ابن الأشرف دون الدخول فى صدام مباشر فى تلك المرحلة المبكرة مع يهود المدينة ، إباحة النبى ﷺ للمسلمين اللجوء الى الحيلة والخداع ، بل والكذب أحيانا ، فالحرب خدعة ، لقتل من يستحق القتل ممن يؤذون المسلمين، بأقل خسارة ممكنة.

أما غزوة أحد والتى وقعت يوم السبت السابع من شوال السنة ٣هـ ، ٢٣ مارس ٦٢٥م ، فقد برزت فيها عبقرية الرسول ﷺ فى التخطيط العسكرى ، بصورة منفردة ، والذى سبق به ، كل قادة العالم ، وذلك بدأ من رفضه الخروج من المدينة الى خارجها ، فقد أستشار ﷺ كعادته الصحابة فى البقاء بالمدينة واتخاذها حصنا ، وعدم الخروج الى خارجها ، أو الى مكان مكشوف ، وقد كانت أهم دوافع الرسول ﷺ ، للبقاء فى المدينة ، هو الإستفادة من حصونها ، وإفساح المجال لجميع طوائفها فى المشاركة بما فيهم النساء والصبيان ، لتعويض النقص العددى من ناحية ، ولدرايتهم بمواطن القوة والضعف فى دروبها وطرقاتها. ولكنه فى النهاية ورغم معرفته الأكيدة بصواب رأيه ، تنازل على رأى الغالبية من شباب الصحابة ، وخرج وقال لهم '' لكم النصر ما صبرتم ''.(٦٧).

وقد تشاور القوم حول رأى النبى ﷺ، وتبين لهم صوابه وحكمته ، ورأوا أنهم أكرهوه على الخروج ، فعادوا فى رأيهم ، لكن النبى ﷺ ، كان

قد استعد للحرب وقال لهم ‘‘ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل (٦٨).

وخرج النبى ﷺ على رأس الجيش الى منطقة استراتيجية ، وموقع متميز شديدة الحصانة ، وجعلوا ظهورهم الى جبل أحد ، ووجوههم الى المدينة ، ثم فصل فرقة من الجيش ، من أمهر الرماة وكان عددهم حوالى خمسين راميا ، وأمرهم بالصعود فوق تل عينين المقابل لجبل أحد ، ـ وعرف أيضا بجبل الرماه ـ وهى نقطة الضعف الوحيدة الموجودة فى أرض المعركة ، وأعاد عليهم مرارا وتكرارا ، عدم التخلى عن مواقعهم تحت أى ظرف من الظروف.

وقال ﷺ: لعبد الله بن جبير قائد الرماة: "انْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَ مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ". ثم قال للرماة: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَوَطِئْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ". إذا أوامر النبى ﷺ كانت في منتهى الوضوح لا تفتح بابا للاجتهاد عند الرماة، كلها تحمل معنى واحدًا، وهو الثبات الثبات فوق جبل الرماة.(٦٩).

وقد حاول خالد بن الوليد بحنكته الحربية أن يخترق الثغرة الوحيدة للمسلمين ، وحاول الإلتفاف حول الثغرة ، لكنه فوجىء بسيل من السهام ينهال عليه وفرقته ، فعاد أدراجه عدة مرات ، رغم ما شوهد له وعرف عنه بالعبقرية الحربية ، لكن رغم ذلك ، لم يستطع أن يتفوق على عبقرية الرسول ﷺ ، إلا بعد أن خالف الرماة أمر الرسول ﷺ وتركوا مواقعهم للمشاركة فى جمع الغنائم. (٧٠).

وقبل بدء معركة أحد ، اتبع النبى ﷺ أسلوبا جديدا فى بث روح الحماسة والمنافسة بين جنوده ، برز ذلك فى موقفه مع ، الصحابى أبو دجانة وهو الذي أخذ السيف من النبي ﷺلما قال ﷺ: "مَنْ يَأْخُذ هَذَا

السَّيْفَ بِحَقِّهِ" فأحجم كثير من الصحابه عن التقدم لأخذ السيف لأنهم لا يعرفون ما حقه ، فقال أبو دجانة ـ هو سماك بن خرشة ـ وما حقه يارسول الله ؟ ، قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى ، فقال ، أنا أخذه بحقه . وربط على رأسه عصابة حمراء وقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت. وجال في الأرض وقتل كثيرا من المشركين (٧١).

والحقيقة أن مسألة ربط العصابة الحمراء على الرأس ، استوقفتنى كثيرا ، فقد سبق بها أبو دجانة ، مارأيناه وعرفناه حديثا فى حروب الغرب ، من استعمال هذه العادة التى سبق بها ، واحدا من صحابة الرسول ﷺ.

وقد أسفرت المعركة فى البداية عن نصر مؤزر للمسلمين ، رغم الفارق العددى والعددى ـ بضم العين ـ بين الفريقين ، وذلك فى الفترة التى التزم الجميع فيها بأوامر الرسول ﷺ .

وقد كانت غزوة أُحُد معركة اجتمع فيها النصر والهزيمة، وقد انكشفت المعركة عن مقتل سبعين صحابيّاً وجرح العديد منهم، وانصرف المشركون مكتفين بالذي حقّقوه، وأخذ رسول الله ﷺ ، في الانسحاب بالبقية من أصحابه ، فى مكان آمن ، حتى انتهى بهم إلى الشِّعب الذي نزل فيه في أول القتال، ويئس المشركون من إنهاء المعركة لصالحهم بنصر حاسم، وتعبوا من طولها ومن ثبات المسلمين ، رغم جراحاتهم الأليمة، فكفوا عن القتال، وانتهزها أبو سفيان فرصة ليولي الأدبار خائفا من أن تكون الجولة الثالثة للمسلمين ، كما كانت لهم الجولة الأولى في بداية المعركة، إلا أنه وقف يشمت بالمسلمين ويفخر بآلهتهم .(٧٢).

وعندما انصرف المشركون فرحين بما أحرزوه من نصر على المسلمين ، أرسل النبى ﷺ فى أثرهم على بن أبى طالب ، وقال له : ‘‘اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل

وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم . قال علي :فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ''. (٧٣).

والأهم من هذا ، والجراح مازالت تنزف من البعض ، يأمرهم النبى ﷺ وفى نفس ليلة الغزوة ، بالخروج فى إثر المشركين فى غزوة أخرى ، هى ما عرفت بغزوة حمراء الأسد ، أراد النبى ﷺ بهذا الخروج السريع وقبل لملمة الجراح ، كما ذكر ابن هشام قائلا : '' لا يخرج معنا الا من شهد القتال '' ، والهدف رفع الروح المعنوية ولهذا حدد فقط من شهد أحداث أحد ، وقد أراد النبى ﷺ أن يمهد لهذه الغزوة بالفت فى عضد المشركين ، وذلك عندما أرسل اليهم معبد بن أبى معبد الخزاعى . وكان مسلما لم يعلن اسلامه ، أمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذله ، فلحقه بالروحاء ** ، وأخبره بخروج المسلمين فى إثرهم للإنتقام من قتلاهم فى أحد ، ونصحه بسرعة العودة الى مكة.

تلك كانت الروح المعنوية للمسلمين بعد أحد ، رغم لن نقول الهزيمة ، ولكن الدرس الذى تعلموه وتعلمناه معهم من مخالفة أوامر القائد ، وبفضل الخطط الحكيمة التى وضعها القائد والتى أراد منها ، الثبات والإستماتة فى الدفاع عن الدين والوطن وإرهاب العدو ، فقد أراد أن يمحو من قلوبهم أى خوف قد يكون تسرب إليهم فى أعقاب الغزوة ، وفى هذا المعنى يقول ابن هشام عن غزوة حمراء الأسد: ''وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم'' (٧٤).

أما غزوة بنى المصطلق أو غزوة المريسيع ، والتى وقعت فى ٢ شعبان سنة ٥هـ ، فقد أظهرت أهمية السرعة فى التحرك لمباغتتة العدو قبل أن يستعد ،فعندما علم النبى ﷺبتجمع قبيلة بنى المصطلق ،

واستعدادها لغزو المدينة، فما كان منه إلا أن جمع الجيش ، وانطلق إليهم مسرعا ـ وهى من أساليب الحرب الحديثة ـ باغتهم عند منطقة تعرف بماء المريسيع، وقد انتصر المسلمون انتصارًا كبيرًا وغنموا غنائم كثيرة. وكان من بين الغنائم والأسرى من النساء بنت شيخ القبيلة وكبيرها وزعيمها، السيدة جويرية بنت الحارث بن ضرار ، (أم المؤمنين فيما بعد).(٧٥).

وقد أظهرت أيضا هذه الغزوة سرعة بديهة الرسول ﷺ ، عندما دب الخلاف لأول مرة بين المهاجرين والأنصار ، بفعل تدخل المنافقين الذين غاظهم الوئام والحب السائد بين الفريقين ، وذلك عندا أمر النبى ﷺ بسرعة التحرك ولملمة المعسكر فى زمن قياسى للعودة الى المدينة ، وهى السرعة التى أدت الى تخلف أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن الغزوة ، وما أدى بعد ذلك الى ما عرف بحادثة الإفك (٧٦).

وقد أظهرت هذه الغزوة كيف خطط الرسول ﷺ ، دون ان يعاتب المنافق عبد الله بن أبى بن سلول ، رأس الفتنة ، ولكنه فوت عليه الفرصة فى وضع مزيد من الصدع والإنشاق بين المسلمين.

تعتبر غزوة الخندق ، والتى وقعت في شهر شوال من العام الخامس من الهجرة (الموافق مارس ٦٢٧م) وهى أيضا من أهم الغزوات التى برز فيها التخطيط بصورة واضحة ، حيث اتبع فيها الرسول ﷺ والصحابة ، لأول مرة خططا لم يعرفها العرب من قبل ، وقد وقعت هذه الغزوة الكبيرة من حيث العدد والعدة من كلا الطرفين ، والتى تعد أخر غزوة للمدينة من قبل المشركين والمنافقين واليهود ، ومن تحالف معهم من قبائل العرب ، ولذلك حملت إسما أخرا هو غزوة الأحزاب ، والتى قال عنها الرسول ﷺ ، بعد أن انتهت ، '' الأن نغزوهم ولا يغزوننا '' (٧٧)

وقد جاء مسمى الغزوة من التخطيط لها ، من الخندق الذى أشار الصحابى سلمان الفارسى بحفره فى المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام العدو ، فمن المعروف أن المدينة تحيطها الحرات التى يصعب على البشر والخيول والإبل التحرك فيها بسهولة. ولم يذكر ابن اسحاق ومن بعده ابن هشام حول مسألة الخندق ما تناولته المصادر اللاحقة من التفصيل فى هذا الموضوع ، وكل ما ذكره ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق حول هذا الموضوع قال :- '' فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا '' . (٧٨).

ويفيدنا ابن اسحاق من هذا النص ، كيف عمل الرسول ﷺ بنفسه فى حفر الخندق ، ليبث الحماسة فى قلوب الصحابة من ناحية ، ولإنجاز هذا العمل الضخم فى وقت قياسى ، وهو ما تم بالفعل ، رغم قسوة المناخ الذى أجمعت عليه المصادر اللاحقة ، فقد اجتمع على المسلمين فى هذه الغزوة البرد والجوع ، وهكذا فوجئت قريش، ومن تحالف معها من اليهود والأحزاب ، بهذا المانع الجديد الذى لم تعهده العرب من قبل ، فلم تجد أمامها سوى ضرب الحصار الذى أنهكهم قبل أن ينهك المسلمون فى المدينة .

وعندما طال أمد الحصار لجأ الرسول ﷺ الى خطة جديدة ، وهو الدور الذى رسمه النبى ﷺ لنعيم بن مسعود ، والذى نفذه ببراعة فائقة ، وكان لهذه الخطة الدور الأكبر فى فشل هذه الغزوة الكبرى. قال ابن إسحاق : '' وأقام رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول

الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ؛ فقال رسول الله ﷺ، إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت،فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ، ومن معه من رجال قريش :قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أن أبلغكموه ، نصحا لكم ، فاكتموا عني ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تتهموني ؛ قالوا : صدقت ، ما

أنت عندنا بمتهم ؛ قال : فاكتموا عني ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم ''.(٧٩).

وهكذا ظهرت أهمية التخطيط فى هذه الغزوة لمواجهة هذا الجيش العرمرم ، والذى يعتبر أكبر جيش الى سنة خمسة للهجرة واجهته المدينة ، وقد ضرب الرسول ﷺ القدوة والمثل فى إستشارة الصحابة والأخذ برأيهم ، والتخطيط لهم ، لتفريق وتمزيق الشمل ، والتنفيذ من قبلهم بمهارة ، وأيضا مشاركتهم فى العمل بيديه فى حفر الخندق ليبث فيهم الحماسة والتحمل وقوة العزيمة، علاوة على مشروعية استخدام الفرقة والخديعة للإيقاع بين المتحالفين وزرع الشك بينهم حتى يتفرق شملهم ، فكما قال ، الحرب خدعة.

وقد ذكرت من بداية البحث أننى لن أتطرق الى المعجزات الألهية وما أكثرها فى تاريخ السيرة النبوية ، وبصفة خاصة فى غزوة الخندق . وإنما فقط سوف نتناول الجزء الخاص بالتخطيط البشرى سواء من الرسول ﷺ ، أو من صحابته الكرام ، وهى لا تقل أهمية عن المعجزات الألهية ، ولكنها محور وهدف البحث.

أما فى غزوة بنى قريظة ، وهى التى حدثت فى نفس اليوم الذى عاد فيه من الخندق، ويهود بنى قريظة هم أخر اليهود الذين قاتلهمﷺوقضى عليهم ، وبذلك خلت المدينة من اليهود كافة ، فقد بدأ العدو الأكبر للإسلام والمسلمين داخل المدينة ، يفقد حليفا استراتيجيا مهما له بفشل غزوة الأحزاب ، وبالخلاص من يهود بنى قريظة ، أصبحت الجبهة الداخلية لأول مرة منذ تأسيس الدولة الإسلامية نظيفة من المؤامرات والكيد والخيانة .

وقد وقعت غزوتهم مباشرة بعد غزوة الخندق ، لأنهم غدروا بالمسلمين ونقضوا العهود والمواثيق ، وخانوا المسلمين فى أحلك ظروفهم وقت حصار الخندق ،ولذلك يشبه ماحدث فى هذه الغزوة الى حد كبير ،

ماحدث فى أعقاب غزوة أحد ، حيث أمر النبى ﷺ المسلمين ، ولم يكونوا قد حصلوا على قسط من الراحة بعد عناء شهرا كاملا فى حصار شديد انهكهم فيه البرد والجوع ، فأمر النبى ﷺ مؤذنا يؤذن فى الناس '' من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة (٨٠).

وحاصرهم رسول الله ﷺخمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار(٨١). وطلبوا التحكيم بينهم وبين الرسول والمسلمين.

وقال رسول الله ﷺألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى؛ فذاك إلى سعد بن معاذ ،وكان رسول الله ﷺ قد جعله في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رفيدة ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ، ـ وكان سعد قد أصيب بسهم أثناء حصار الخندق ، وكان السبب فى موته ـ فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، هم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه.

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ ،فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال: سعد بن معاذ ، عليكم بذلك عهد الله

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ؛ فقال رسول الله: ﷺ نعم : قال سعد :فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء(٨٢).

وبإختيار الرسول ﷺ لسعد بن معاذ ، كى يحكم فيهم ، وحكم سعد فيهم بالقتل ، سبق رسول الله ﷺ والصحابى سعد بن معاذ ، التشريعات الدولية الحديثة التى تحكم بالقتل أو الإعدام بلغة العصر نظير تهمة الخيانة العظمى ، وبخاصة فى وقت الحروب. وكذلك فقد أراد الرسول ﷺ إشراك بعض الصحابة وتعويدهم على الإجتهاد فى ما لم ينزل به نص بعد ، وقال لسعد بعد أن حكم فيهم رغم أنهم حلفاءه '' لقد قضيت فيهم بحكم الله تعالى . (٨٣).

أما غزوة بنى لحيان والتى حدثت في السنة السادسة للهجرة ، فقد كان الهدف منها معاقبة بني لحيان على غدرهم بستة من الدعاة المسلمين عند ماء الرجيع ، قبل عامين من الغزوة . ويذكر ابن إسحاق : ''أن النبى ﷺ ''خرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدى وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة ''. (٨٤).

وبنو لحيان هم الذين غدروا بأصحاب النبى ﷺ ، وباعوهم فى مكة حيث نكل كفار قريش بهم ، إنتقاما مما حدث لهم فى بدر ، ولكن لماذا صبر النبى ﷺ كل هذا الوقت دون الذهاب الى بنى لحيان ، وذلك لعدة أسباب ، منها قرب ديار بنى لحيان من مكة ، علاوة على الثقة فى النفس التى اكتسبها الرسول ﷺ والصحابة بعد فشل غزوة الأحزاب ، وأيضا إرسال رسالة الى العدو الأكبر فى مكة بأن المدينة وساكنيها لا ينسون ثاراتهم ممن تعدى عليهم ،وإن أمهلوهم ، لن يهملوهم ، وقد اتبع الرسول ﷺ فى هذه الغزوة السرية حتى يباغت العدو دون

أن يستعد ، وبالفعل عندما باغتهم الرسول ﷺ فروا هاربين الى رؤوس الجبال ، وحققت الغزوة كل الأهداف التى خطط لها الرسول ﷺ.

أما غزوة الحديبية أو صلح الحديبية ، والتى وقعت فى السنة السادسه للهجرة فى شهر ذى القعدة (مارس ٦٢٨م)، وكان النبى ﷺ قد خرج لأداء العمرة فى ألف وأربعمائة من الصحابة ، وخشى الرسول ﷺ أن تحاربه قريش أو تصده عن البيت ، ولذلك أراد النبى ﷺ أن يستنفر القبائل العربية المحيطة بالمدينة ، ولكنهم تباطئوا عليه ، فخرج بالصحابة من المهاجرين والأنصار (٨٥). وأحرموا من ذى الحليفة (٨٦) ، وقلد رسول الله ﷺ الهدى وأشعره ، وعددها سبعون بدنة (٨٧). الى أن وصل مشارف مكة.

ولن نسترسل طويلا هنا فى المفاوضات المضنية بين الرسول ﷺ وبين المشركين ، ومحاولته ﷺ جاهدا أن يفهم قريش أنه جاء مسالما معتمرا ، ورفضت قريش كل الوساطات التى حاولت تقريب وجهات النظر بين الفريقين ، وقالوا : '' وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تتحدث بذلك العرب '' (٨٨) .

وعندما تيقن الرسول ﷺ من صلف وعناد قريش ، أرسل عثمان بن عفان بعد أن رفض عمر بن الخطاب الذهاب خوفا على نفسه منهم ، وهو أمر محمود فى هذا الموضع ، تقديرا منه للعدو المتنمر بعد إخفاقاته المتتالية ، ورفض عثمان الطواف بالبيت قبل أن يطوف به الرسول ﷺ ، واحتبسته قريش للتشاور ، واشيع مقتله ، فعقد الرسول ﷺ بيعة الرضوان للقصاص من مقتل عثمان (٨٩).

وما يهمنا هنا ما أسفرت عنه المفاوضات . وكانت قريش قد أعياها ثبات الرسول ﷺ والمسلمون معه وحرصهم على أداء عمرتهم ، الى أن أرادت الصلح مع الإحتفاظ ببعض مما تبقى لها من غرور وكبرياء ، فأرسلت فى النهاية سهيل بن عمرو(٩٠). وقالت له كما ذكر ابن هشام

: ‘‘ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح . (٩١).

ورأى الرسول ﷺ فى شروط صلح الحديبية بثاقب نظره ، ما لم يره الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب (٩٢)، فتبرموا لأول مرة ، وبصورة شديدة لم يعهدها ﷺ منهم من قبل ، ولذلك عندما أدركوا لاحقا ، أنه فتح من الله بفضل تمسك الرسول ﷺ ، به رغم رفض الصحابة ، ندموا ندما شديدا ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وكان الرسول ﷺ عندما تمسك بهذا الصلح ، الذى اعترفت فيه قريش لأول مرة بكيان المسلمين ، وصارت المعاملة بين الطرفين معاملة الند للند (٩٣) ،وهو مكسب كبير حققه المسلمون. وقد أتاح هذا الصلح أيضا تفرغ المسلمين ليهود خيبر وتيماء وفدك (٩٤) ، حيث كانوا يمثلون خطرا بتحالفهم ضد المسلمين فى المدينة ، وهو ما أراده النبى ﷺ ، فى المدة الخاصة بالعشر سنوات ، التى جاءت فى شروط الصلح.

أما فى غزوة خيبر والتى وقعت فى شهر محرم من السنة السابعة من الهجرة (٩٥) ، الموافق شهر مايو ٦٢٨م ، فقد نزل معظم اليهود الذين أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة بها ، متربصين بالمسلمين ، ينتظرون الفرصة المواتية للتحالف مع أعداء المسلمين كما حدث فى غزوة الخندق ، يملأ قلوبهم الحقد والعداء ، ولذلك انتهز النبى ﷺ هدنة الحديبية ، ليوقف هذا التآمر ضد المسلمين ودولتهم ، وقد قبل الرسول ﷺ أيضا ، هدنة الحديبية من أجل تصفية هذه الجيوب التى تشكل خطرا كبيرا على الدولة الوليدة. وكان جيش خيبر هو أكبر جيش خرج به الرسول ﷺ ، الى الأن ، أى وقت الغزوة ، حيث تكون من ألف

وستمائة مقاتل ، بينهم مائتى فارس ، وقاده النبى ﷺ بنفسه ، واستغرق الطريق الى خيبر ثلاثة أيام ، وكانت خيبر تملك مجموعة كبيرة من الحصون شديدة الحصانة .

وكان أول تخطيط للرسول ﷺ فى هذه الغزوة أنه سلك طريقا يفصل مابين خيبر وحلفاءها من غطفان (٩٦). وذلك ليحول بينهم ـ أى غطفان ـ وبين أهل خيبر من أن يمدوهم بالعون ، لأنهم كانوا هم أيضأ أعداء للمسلمين . (٩٧). وفى ذلك يقول ابن اسحاق : '' فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودعليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر''.(٩٨).

وتدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، – ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وبنتي عم لها ؛ فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه . وكان دحية بن خليفة الكلبى . قد سأل رسول الله ﷺ صفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وفشت السبايا من خيبر ، في المسلمين ''. (٩٩).

وقد كان من أصعب حصون خيبر ، والذى استعصى كثيرا على المسلمين ، حصن الناعم ، قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : '' بعث رسول الله ﷺ ، أبا بكر الصديق برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ ثم بعث

الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ – عليا – رضوان الله عليه – وهو أرمد ، فتفل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح ، يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أناعلى بن أبى طالب. قال : يقول اليهودي : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه''.

وفى رواية أخرى فى نفس السياق ، قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ قال : '' خرجنا مع على بن أبى طالب ، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول على ، بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه''.(١٠٠).

والسؤال هنا لماذا لم يختر النبى ﷺ عليا منذ البداية لهذه المهمة الصعبة ، والحقيقة أن النبى ﷺ يعرف جيدا إمكانات على رضى الله عنه القتالية ، ولكن إدخره الى النهاية ، وهذا تخطيط رائع من الرسول ﷺ أولا من حيث إتاحة الفرصة بالتساوى بين كبار الصحابة من ناحية ، وأيضا ليعودهم أن إحراز النصر يحتاج الى صبر وقوة وتخطيط جيد ، وهو ما يتوافر دون شك فى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه. وهكذا فتحت خيبر ليعقد الرسول ﷺ صلحا مع يهودها ، ولكن من موطن قوة ، ووضع معهم الشروط الخاصة بالصلح بما يحفظ للمسلمين هيبتهم ، وأصبح بقاء اليهود فى خيبر لأول مرة مرهونا بإرادة دولة المسلمين فى المدينة.

وقد كان صلح الحديبية ، ورغم النزاع الذى حدث فيه ، كان فتحا بمعنى الكلمة ، حيث استطاع الرسول ﷺ ، الخروج بالدعوة الإسلامية خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، وهو ما عرف تاريخيا ، بمراسلة الملوك والأمراء والزعماء ، لدعوتهم للدخول فى الإسلام ، ولم يكن هذا ليتوفر الا بفضل الهدنة التى استفاد منها الرسول ﷺ ، بصورة كبيرة. وقد أسهب ابن اسحاق كثيرا فى ذكر هذه الرسائل بصورة مفصلة ، ظهر من مجملها أهمية هذه الخطوة من جانب الرسول ﷺ ، وعبقرية الأسلوب الذى كتبت به ، بما يتفق مع كل مرسل اليه ، وما يتناسب فى الطريقة التى يجب أن يخاطب بها. (١٠١).

أما غزوة مؤتة أو سرية مؤتة، والتى وقعت أحداثها في جمادى الأولى ، من العام الثامن للهجرة (أغسطس ٦٢٩ م) ، فقد اتبع فيها الرسولﷺ ،تخطيطا جديدا ، فهى المرة الأولى والأخيرة التى يعين فيها الرسول ﷺ ثلاثة أمراء على قيادة الجيش ، والسبب هنا ، أن الرسول ﷺ ، يعرف أن هذه الغزوة هى الاحتكاك واللقاء الأول مع البيزنطيين فى بلاد الشام ، وهو ما أراد منه الرسول ﷺ ، أن يهيىء المسلمين فى المستقبل القريب للجهاد مع عدوهم القادم ، فأراد بحنكة شديدة أن يتعرفوا على العدو عن قرب فى عدده وعدته وخططه العسكرية ، والأرض التى سوف يخرجون اليها قريبا. ورغم ضراوة المعركة واستشهاد قادتها الثلاثة ، وضح من خلال العدد القليل الذى استشهد من المسلمين ، أن الخطة التى وضعت لها كانت محكمة ، علاوة على استبسال المسلمين فيها رغم الفارق العددى بين الجيشين ، فيذكر ابن اسحاق أن عدد شهداء المسلمين أثنى عشر رجلا فقط .(١٠٢).

أما النصر الأكبر الذى تحقق من صلح الحديبية والذى رأه الرسول وخطط له ، فهو فتح مكة وذلك عندما ساندت قريش حلفاءها من بنى بكر ، ضد حلفاء الرسول ﷺ من خزاعة ، وهو الذى قضى على

الصلح ، وأعطى الفرصة والمبرر للرسول ﷺ ، وللمسلمين لفتح مكة سنة ثمانية للهجرة ، وحول نقض قريش للمعاهدة يذكر ابن اسحاق '' أن بنى بكر لم يتركوا مطاردة خزاعة ، وقتلهم حتى داخل الحرم ، وبلغ عدد قتلى خزاعة عشرين رجلا '' (١٠٣). ويذكر ابن هشام : أن الخروج الى مكة ، كان فى سرية تامة ، حيث أمر النبى ﷺ التجهز بالسير دون أن يذكر الجهة التى يريدها وقال '' اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها '' (١٠٤).

وقد جمع الرسول ﷺ جيشا كبيرا من كل القبائل التى حالفته حول المدينة ، ولم يتخلف عن هذا الجيش أحد من المهاجرين أو الأنصار ، وبلغ عدد الجيش كما ذكر ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق : عشرة الأف مقاتل (١٠٥). ورغم كشف خطة الرسول ﷺ بالرسالة التى أرسلها حاطب بن أبى بلتعة (١٠٦) الى قريش. الا ان خطة الرسول التى أعدها لدخول مكة ، علاوة على هذا الجيش الهائل ، وماكانت قد وصلت اليه قريش من وهن ، أدت الى فتح مكة.

وقد أمر النبى ﷺ بأن تعرض كتائب الجيش أمام أبى أبى سفيان ، عندما خرج اليه يعلن إسلامه واستسلامه ، وهو الذى قاد جل الغزوات ضد المسلمين ، وذلك فى اشاره من الرسول ﷺ لاستعراض القوة ، وهى موجودة بالفعل ، ولكن النبى ﷺ ، كان يؤسر السلامة فى دخول مكة ، وهو ما تحقق بالفعل عندما رجع أبو سفيان الى مكة ، كما ذكر ابن هشام قائلا: ''حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان ، فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ـ زوجته وكانت من صاحبات الرأى والشورى ـ فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس (١٠٧)، قبح من طليعة قوم ، قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان

فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله وما تغني عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد''. (١٠٨). وقد تم فتح مكة ، رغم هذا العدد الهائل لجيش المسلمين ، بأقل الخسائر كما أراد النبى ﷺ.

وقد كان العفو الذى من به الرسول ﷺ على الجموع الغفيرة ، سرعان ماأتى أكله ، وذلك عندما خرجت قبيلتى هوازن وثقيف بجموع غفيرة بلغت العشرون ألف مقاتل ، حيث ذكر ابن هشام ، أن طلقاء يوم فتح مكة ، سرعان ماانضموا الى اللقاء مع الرسولﷺ فى غزوتى حنين والطائف ، حيث حدد عددهم بحوالى الفين ، ، وكان عدد جيش الفتح عشرة الأف ، فصار عدد الجيش أثنى عشر الفا (١٠٩). وهو أكبر جيش خرج به الرسول ﷺ بعد فتح مكة ، مما وضع فى نفوسهم شعورا بالقوة ، واستبعاد الهزيمة ، وفروا عند اللقاء ، ولم يثبت سوى الرسول ﷺ فى قلة من الصحابة (١١٠). ورغم تخاذل الجيش والطلقاء ، عفى عنهم النبى ﷺ ، وقد ضرب الرسول ﷺ مثالا نادرا فى الشجاعة والثبات ، وقاتل بنفسه قتالا شديدا ، مما جعل الجيش يعود (١١١).

أما أخر غزوات الرسول ﷺ ، فهى غزوة تبوك أو غزوة جيش العسرة ، ووقعت فى رجب من العام التاسع للهجرة (١١٢) ، وقد اختلفت الآراء حول الأسباب الحقيقية لهذه الغزوة ، وللأسباب الكثيرة والأحداث الكبيرة التى أحاطت بهذه الغزوة كشف الرسول ﷺ وجهتها منذ البداية على غير عادته فى الغزوات السابقة ، وفى ذلك يقول ابن هشام ''قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : '' ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ،ما بين ذي الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وقد ذكر لنا ، من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث

ما لا يحدث بعض : ''أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد : وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ؛ وكان رسول ﷺ ، قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم'' (١١٣).

وقد أظهر ابن هشام الأسباب التى أفصح النبى ﷺ ، منها وجهته فى هذه الغزوة ، ونضيف ، أن العدو الجديد الذى كان يقصده النبى ﷺ فى هذه الغزوة مختلفا عما سبقها من غزوات ، حيث يحتاج الى خطط جديدة تعتمد فى المقام الأول على الصبر وقوة العزيمة ، وتمييز الخبيث من الطيب فى أخلاط البشر التى دخلت فى دين الله أفواجا بعد فتح مكة ، فلم يعد هناك دواعى للسرية فى الخروج ، مثلما حدث قريبا فى فتح مكة ، والذى تسربت وجهة الجيش رغم السرية التى وضعها الرسول ﷺ.

وقد كانت هذه الغزوة هى التمهيد الحقيقى للمسلمين فيما بعد بفتوحات بلاد الشام ، وقد نفذ الرسول ﷺ هذا التمهيد بنفسه فى أخريات أيامه ، والمقصود هنا بعث أسامة بن زيد (١١٤) ، الذى لم يتم ، وتم على يد أول الخلفاء الراشدين سيرا على خطى الرسول ﷺ بتنفيذ بعث أسامة. الذى سبق به الرسول ﷺ بعبقريته العسكرية ، كل قادة العالم الى يومنا هذا ، وهو تسليم الراية والقيادة الى الأجيال الشابة ، لتحمل المسؤلية ، فكان درسا كبيرا لأخر بعث عسكرى فى حياة الرسول ﷺ(١١٥).

وفى نهاية هذا البحث ، أرجوا أن اكون قد وفقت فى إبراز عبقرية التخطيط السلمى والحربى فى حياة الرسول ﷺ ، وصحابته الكرام ، من خلال مصدر من أوثق مصادر التوثيق للسيرة النبوية .

المصادر والمراجع

(١) **ابن إسحاق : هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى ،** كان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى، ولد فى المدينة المنورة سنة ٨٥هـ /٧٠٣م ، وكان جده يسار من سبى عين التمر حين إفتتحها المسلمون فى خلافة أبى بكر الصديق سنة ١٢هـ ، وقد وجده خالد بن الوليد ، فى كنيسة عين التمر من بين الغلمان الذين كانوا رهنا فى يد كسرى فحمله الى المدينة المنورة. ورغم القدح الشديد الذى تعرض له ابن اسحاق – ونحن هنا لسنا فى معرض الدفاع عنه – وبخاصة من قبل المحدثين ، والذين اعتبروا المحدث أعلى منزلة من الإخبارى (المؤرخ فيما بعد وبلغة العصور التالية) إلا أنه يعتبر أول وأفضل من كتب فى السيرة ، بل أنه حاز سبق أول مؤرخ عربى كتب فى السيرة ، وذلك رغم مضى ما يقارب المائة وعشرون سنة بين وفاة النبى ﷺ ، وبداية جمعه لرواياته الشفهية قبل أن يوثقها، وقد اتسمت كتاباته التاريخية بالترتيب الزمنى للأحداث ، وهو أول من استخدم هذا الأسلوب ،الذى أعتبر سباقا فى عصرة. للمزيد حول ابن اسحاق راجع:-

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصرى) ت٢٣٠هـ . الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ ،١٩٦٨م ، ج٧، ص٣٢١. الخطيب البغدادى (أحمد بن عبدالمجيد بن على بن ثابت) ٣٩٢– ٤٦٣هـ ، ١٠٠٢ – ١٠٧١م ، تأريخ بغداد ، تحقيق/ بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، ج١ ، ص ٢١٤. الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى) ت ٧٤٨هـ ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م، ج٧ ، ص ٣٣.

(٢) **ابن هشام : هو أبو محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري**، كاتب سير ومؤرخ بصرى .كما كان عالما بالأنساب واللغة ، وأخبار العرب ، عاصر ابن هشام الإمام الشافعى ، والتقى به فى مصر. توفى سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م ، للمزيد راجع :-

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9_%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D9%87%D8%B4%D8%A7%D9%85

وحول منهج ابن هشام فى كتابة السيرة النبوية راجع : - جهاد محمود توفيق : منهج ابن هشام (ت ٢١٨هـ) فى السيرة النبوية. بحث منشور ، ٢٣/١٠/ ٢٠١٣م ، ١٩/١٢/ ١٤٣٤هـ. على موقع

/http://alukah.net/culture/0/61588

(٣) **وصفه الإمام مالك بن أنس بأنه دجال من الدجاجلة** ، واتهمه هشام بن عروة بن الزبير بالكذب ، لأنه كان يروى عن زوجته فاطمة بنت المنذر بن الزبير ، وكان هشام ينكر سماع ابن إسحاق عنها ، ويقول : هو كان يدخل على إمرأتى ؟ . ورمى بالقدر ، والتشيع ، ولم يرو له الإمام مسلم فى صحيحه إلا مقرونا بآخر ، أى روى له فى المتابعات . وكذلك لم يرو له الإمام البخارى فى صحيحه إلا المعلقات.

(والمعلق هو ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ، ولو الى أخر الإسناد . للمزيد راجع :- مهدى رزق الله أحمد : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية ، دراسة توثيقية تحليلية إضافات هامة ، مكتبة الرشد ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢م ، ص ٢٦ . وهامش (٣) .

(٤) **مهدى رزق الله** : نفس المرجع ، ص ٢٧.

(٥) **http://veronese.mo-rpg.com/t430-topic**

(٦) **سورة الحج ، الأيتان** ٣٩ ، ٤٠.

(٧) للمزيد حول تفسير أول الأيات التى نزلت فى الحض على الجهاد ، راجع:-

ابن كثير (اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) (٧٠٠ – ٧٧٤ هـ) (١٣٠٠ – ١٣٧٢م) . تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة ، سنة ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م . ثمانية أجزاء ، ص ٤٣٤.

(٨) **سرية نخلة** : بعث رسول الله ﷺ الصحابى عبد الله بن جحش ، فى شهر رجب ، فى الشهر السابع عشر من الهجرة الى المدينة ، على رأس سرية من ثمانية رهط (أى دون العشرة) من المهاجرين

وكتب له كتابا وأمره الا ينظر فيه حتى مسير يومين ، وعندما فتح الكتاب ، وجد فيه الأمر بالتوجه الى نخلة ، وهى بين مكة والطائف ، لرصد قريش ومعرفة أخبارها ، ومرت بهم عير لقريش وتجارة فيها عمرو بن الحضرمى ، الذى رماه واقد بن عبد الله التيمى بسهم قتله ، علاوة على أسر اثنين من القرشيين ، وكان الشهر من الأشهر الحرم ، وتفاءلت يهود بأسماء القاتل والمقتول فى اشتعال**الحرب بين الفريقين** . وهنا فرج الله على المسلمين ، بنزول أيات القتال . للمزيد حول سرية نخلة .

راجع :- **ابن شهبة (محمد بن أحمد بن سويلم)** السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م، الجزء الثانى ، ص ١٢١، ١٢٢. الغزالى (الشيخ محمد الغزالى المصرى) ت ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، فقه السيرة ، عالم المعرفة ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٦م ، الطبعة السابعة ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢.

(٩) **الصنعانى** (الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى) (١٢٦- ٢١١هـ) (٧٤٤ – ٨٢٧م)مصنف عبد الرزاق ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، عدد الأجزاء ، إحدى عشر الجزء الخامس ، ص ٣٣٢.

(١٠) **مهدى رزق الله** : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية ، ص ٣١٧.

(١١) مهدى رزق الله : نفس المرجع والصفحة.

(١٢) سورة المدثر : الأيات من ١-٧.

(١٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٣٢٥.

(١٤) ابن هشام : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣١٨، ٣٢٤.

(١٥) اليعمرى (أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس) (٦٧١-٧٣٤) (١٢٧٣-١٣٣٤) ، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م ، ج١ ، ص ٩٣، ٩٨.

(١٦) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص ١٩٢. وللمزيد حول آل ياسر :- **راجع :- الغزالى : فقه السيرة ، ص ١٠٨.**

(١٧) البوطى : (الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى) فقه السيرة النبوية ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص٧٦.

(١٨) البوطى : نفس المرجع ، ص ٧٧.

(١٩) هو خباب بن الآرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن تيم التميمى ، ويقال الخزاعى . ابن هشام : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣١٩.

(٢٠) ابن حجر : (أحمد بن على بن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ ،فتح البارى شرح صحيح البخارى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ج١٤، ص ١١٣، ١١٤، ح ٣٦١٢.

(٢١) **الشامى (الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى)** ت ٩٤٢هـ ، كتاب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ،

تحقيق / مصطفى عبد الواحد وأخرون ، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٤١٨

هـ ، ١٩٩٧م ، عدد المجلدات ١٢ ، الجزء الثانى ، ص ٤٣٠.

(٢٢) **المباركفورى (صفى الرحمن المباركفورى)** ت ٢٠٠٦م ، كتاب الرحيق المختوم ، بحث فى السيرة النبوية ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ، ص ٤٩.

(٢٣) **مهدى رزق الله** : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٧٦.

(٢٤) **ابن هشام** : السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٤٢٤.

(٢٥) **كانت الإشارة واضحة فى سورة الكهف ، فى قوله تعالى** :- ‘‘**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . سورة الكهف : الأية ١٦.**

(٢٦) ابن سعد :الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٤.

(٢٧) ابن هشام : السيرة ، ج١ ، ٤١٣.

(٢٨) ابن هشام : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢٩) ابن هشام : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٩٩.

(٣٠) ابن هشام : نفس المصدر / ج٢ ‘ ص ٦٩.

(٣١) كان سادة ثقيف الثلاثة هم ، أبناء عمر بن عمير ، وهم عبد ياليل بن كلال ، ومسعود وحبيب . وللمزيد حول حوار الرسول ﷺ معهم ، وما كان منهم ، من رفض وإيزاء ، **راجع** :- **ابن هشام : السيرة ، ج٢** ، من ص ٧٠ - ٧٢.

(٣٢) للمزيد حول مفاوضات بنو عامر بن صعصعة مع النبى ﷺ راجع :- ابن حبان : (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستى) ت ٣٥٤هـ ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تحقيق الحافظ السيد عزيز بك ،

وأخرون ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، من ص ٩٣ – ١٠١.

(٣٣) البوطى : فقه السيرة ، ص ١٣٣.

(٣٤) يذكر ابن هشام ان عدد الذين بايعوا الرسول ﷺ فى بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلا ، وأمرأتان وهم نسيبة بنت كعب المازينية (أم عمارة) ، وأسماء بنت عمرو بن عدى (أم منيع). وللمزيد حول قصة اللقاء وكيف تم التخطيط له راجع :- ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، من ص ٩٤ – ٩٧.

(٣٥) يذكر ابن هشام حول اتخاذ الطرفين للسرية المطلوبة خوفا من رؤوس الكفر فى مكة ، أنه بعد ان تمت البيعة ، وبعد أن عين النبى ﷺ النقباء الأثنى عشر ـ تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، ابن هشام: نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٩٧، ٩٨ ـ وأصبح القوم على وشك مغادرة المكان صرخ شيطان من الشياطين ليعلم القوم بما تم ، فقال رسول الله ﷺ ، '' هذا أزيب [اسم الشيطان] العقبة ، هذا ابن أزيب ، استمع أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك ، ثم قال رسول الله ﷺ : '' أرفضوا [تفرقوا] . الى رحالكم''. ابن هشام : نفس المصدر ، ج٢ ، ١٠١، ١٠٢.

(٣٦) هو :العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الأنصاري الخزرجي؛ شهد بيعة العقبة الثانية، وقال

ابن إسحاق: كان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ ، وهو بمكة، وشهد معه العقبتين، وقيل بل كان من النفر الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ ، بمكة فأسلموا قبل سائر الأنصار، وأقام مع رسول الله ﷺ بها حتى هاجر إلى المدينة، وكان يقال له مهاجري وأنصاري؛ قتل يوم أحد شهيداً، ولم يشهد بدراً؛ آخى رسول الله ﷺ بينه

وبين عثمان بن مظعون . ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى) ت ٧٦٤هـ ، ج٥ ، ص ٣٣٦.

وعن موقع :-

http://islamport.com/w/tkh/Web/290/2336.htm

(٣٧) ابن هشام : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣٨) سورة الحج : الآيات ٣٩ – ٤٠.

(٣٩) أراد الرسول ﷺ منذ وطأت قدماه أرض يثرب ، (المدينة) أن يضع دستورا ينظم العلاقات بين كافة الطوائف التى تسكن المدينة ، وكان هذا الكتاب أو الصحيفة كما جاء ذكرها فى معظم المصادر القديمة ، وكان أول وأقدم من تناول بنود هذه الصحيفة ، محمد بن اسحاق ، ونقلها عنه ابن هشام ، وهى عبارة عن٥٢ بندا . راجع :- ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، من ص ١٦٧ – ١٧٢. مهدى رزق الله : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية ، ص ٢٨٥. قاسم (دكتور عون الشريف قاسم) دبلوماسية محمد ﷺ ، رسالة دكتوراة منشورة ، قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ ، من ص ٢٤١-٢٤٤.

(٤٠) كانت بداية السرايا والغزوات تعتمد على المهاجرين دون الأنصار ، وذلك كما نصت بيعة العقبة الثانية ، والتى كانت تنص على منع الرسول ﷺ داخل المدينة ، علاوة على أن الثأر مع قريش كان مع المهاجرين.

(٤١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٢٨١. ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص ٦.

(٤٢) ابن هشام : السيرة ، ج٢ ، ص ٢٧٥. ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص ٨.

(٤٣) ابن هشام : نفس المصدر والجزء والصفحة.

http://www.amana-md.gov.sa/ABOUTMADINAH/RELIGIOUSTOURISM/Pages/BadrALKubra.asp

(٤٥) ابن سعد : الطبقات ، ج١ ، ص ٢٧٢.

(٤٦) ابن سعد : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٧١.

(٤٧) ابن سعد : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٧٤.

(٤٨) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٢ ، ٢٩٥.

(٤٩) ابن هشام : نفس المصدر ، والجزء والصفحة.

(٥٠) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى) ت ٧٧٤هـ ، البداية والنهاية ، تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركى ، نشر هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م الجزء الثالث ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥(٥١) سورة الأنفال : الآيات ٥، ٦.

**برك الغماد من المواقع التهامية المعروفة عند العرب منذ ما قبل الاسلام و قد اشار الى موقعها والى اهميتها التاريخية البكري فقد ذكر ان الصحابي الجليل ابا بكر الصديق – رضي الله عنه –، خرج مهاجرا الى الحبشة ، فلما بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة: زعيم قبيلة القارة : و قال لابي بكر : مثلك لايخرج ارجع الى بلدك فأنت في جواري ، فعاد أبو بكر الى مكة و يورد ياقوت موقع برك الغماد مرتبطا بعبد الله بن جدعان أحد زعماء قريش في الجاهلية على أنه مات و دفن بها. للمزيد عن برك الغماد أنظر :-

http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=5ade3552c6f63db5

(٥٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٣٠٥.

(٥٣) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦. ابن كثير : نفس المصدر ، ج٣ ، ٢٨٧، ٢٨٨.

(٥٤) ابن هشام : نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٥٥) ابن هشام ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٥٦) مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى) ت ٢٦١هـ ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ،١٩٨٠م ، الجزء الثالث ، ص ١٤٠٤ ، ح ١٧٧٩.(٥٧) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣. ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص ١٥. ابن كثير : البدايه والنهاية ، ج٣ ، ص ٢٩٣.

(٥٨) نزلت أحداث غزوة بدر فى سورة الأنفال ، ورغم الدعم الألهى للمسلمين ، إلا أن الأيات الكريمة توضح أن الأصل ، هو الأخذ بالأسباب الدنيوية ، وبذل أقصى الجهود فى الإعداد والتخطيط لملاقاة العدو .سورة الأنفال : الأية ٦٠.

(٥٩) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٣١٣.

(٦٠) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٦١) مهدى رزق الله : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية . ص ٣٤٨.

(٦٢) من الأشعار التى واسى بها كعب بن الأشرف ، قريشا ، ضد المسلمين قوله :-

طحنت رحى بدر لمهلك أهله * ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم * لا تبعدوا إن الملوك تصرع

كم قد أصيب به من أبيض ماجد * ذي بهجة يأوي إليه الضُيَّع

طلق اليدين إذا الكواكب أخلف * حمال أثقال يسود ويربع

ويقول أقوام أُسرُّ بسخطهم * إن ابن الاشرف ظل كعبا يجزع

صدقوا فليت الأرض ساعة قتّلوا * ظلت تسوخ بأهلها وتصـــدَّع
صار الذي أثر الحديث بطعنـه * أو عاش أعمى مرعشا لا يسمـع
نبئت أن بني المغيرة كلهـــم * خشعوا لقتل أبي الحكيم وجُدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبـــه * ما نال مثل المهلكين وتبـــع
نبئت أن الحارث بن هشامهم * في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما * يحمى على الحسب الكريم الأروع .

ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٣، ص ٧٤ ، ٧٥.

(٦٣) الحلقة : جمع ،حَلَقات و حَلْقات و حِلاَق و حَلَق و حِلَق ، الحَلْقة : السِّلاحُ عامَّة ، **أو الدرع خاصة . للمزيد راجع :**

http://www.almaany.com/home.php?language=arabic&lang_name=%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A&word=%D8%AD%D9%84%D9%82%D8%A9

(٦٤) شعب العجوز : هو من الأماكن الأثرية فى المدينة المنورة ، ويقع فى موقع بظاهر المدينة ، قتل عنده كعب بن الأشرف. راجع :-
http://www.toratheyat.com/vb/showthread.php?t=9334

(٦٥) حرة العريض : بضم العين ، هى جزءًا من حرة واقم. (الحرة الشرقية) ويبعد عن المدينة القديمة ما يقارب (٧) كيلومترات ويُعتبر في منطقة معزولة عن المدينة ويصعب الوصول إليه آنذاك وقد اتخذه بعض آل البيت ملاذًا للاختفاء عن مطاردات الحكام لهم حيث اتخذوا بعض المواقع للاختفاء ويصعب الوصول إليه آنذاك وقد اتخذه بعض آل البيت. راجع :- د/ تنيضب الفايدى فى
http://www.al-madina.com/node/446102?risala

(٦٦) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، من ص ٨١ ، ٨٤.

(٦٧) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٩١.

(٦٨) ابن هشام : نفس المصدر والجزء والصفحة.

http://islamstory.com/ar/%D8%BA%D8%B2%D9%88%D8%A9_%D8%A3%D8%AD%D8%AF

(٦٩) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣، ص ١١٢.

(٧٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٣، ص ٩٧.

http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=190276

(٧١) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧.

** الرّوحاء: هي محطة للقوافل ومنطقة كان الرسول ﷺينزل بها اذا اراد العمرة اوالحج او عند رجوعه من بعض الغزوات. وقد ارتبطت تاريخيا بكثير من الاحداث، ووردت في كثير من الاحاديث النبوية وذكرت في كتب السير.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%AD%D8%A7%D8%A1

(٧٢) للمزيد حول غزوة حمراء الأسد راجع :- ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩، ١٥٠.

(٧٣) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣، ص ٤٠٢.

(٧٤) للمزيد حول الخلاف الذى دار بين المهاجرين والأنصار ودور المنافقين فيه ، وكيف تدخل النبى ﷺ لرأب الصدع فى هذا الخلاف ، وأيضا كيف أدى التخطيط بسرعة العودة الى المدينة ، والى وأد الفتنة فى مهدها ، وأيضا كيف أدت سرعة العودة الى حدوث حادثة الإفك

راجـــــــع :-

ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، من ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩.

(٧٥) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٥٢.

(٧٦) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤. جاءت تفاصيل حفر الخندق فى ابن سعد: الطبقات ، ج٢ ، ص ٦٧. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١١٢.

(٧٧) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠. عبد الرزاق : المصنف، ج٥ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩.

(٧٨) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٢٤.

(٧٩) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٢٦.

(٨٠) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧.

(٨١) ابن هشام : نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٨٢) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨. ابن سعد: الطبقات ، ج٢ ، ص ٧٨ ، ٧٩.

(٨٣) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧.

(٨٤) ميقات ذو الحليفة ، ويقال له مسجد الشجرة لأنه مبني في موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ ينزل تحتها ويقال له: مسجد ذي الحليفة لوقوعه في منطقة ذي الحليفة ، تصغير حليفة بفتح الحاء وكسر اللام ، وقيل ، اسم لماء بين بني جشم بن بكر من هوزان وبين بني خفاجة رهط توبة. وهي قرية، بينها وبين المدينة اثنا عشر كيلاً ، وتسمى الآن بآبار علي. ويقال له: مسجد الميقات لأنه ميقات أهل المدينة ومن يمر بها ، ولذا يقال له: مسجد المحرم ومسجد الإحرام.

http://wikimapia.org/8851379/ar/%D9%85%D9%8A%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%B0%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%A2%D8%A8%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%8A

(٨٥) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٤٢٧.

(٨٦) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٣٢.

(٨٧) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧.

(٨٨) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٣٩.

(٨٩) هو سهيل بن عمرو بن عبدشمس، العامري القرشي ،يكنى أبو زيد ، كان خطيب قريش ومن أشرافهم،

أسلم بعد الفتح ثم حسن إسلامه، وقد قام بمكة خطيبا عند وفاة الرسول ﷺ فى الناس ، وقيل استشهد فى اليرموك ، وقيل في طاعون عمواس سنة ١٨هـ . للمزيد راجع : الذهبى (شمس الدين الذهبى) سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص ١٩٤.

(٩٠) راجع موقف عمر بن الخطاب ، وهو من أشد المواقف فى مراجعة الرسول ﷺ ، فى : ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٤٠.

(٩١) مهدى رزق الله : السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية ، ص ٤٧٨.

(٩٢) مهدى رزق الله : نفس المرجع ، والصفحة.

(٩٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٤٥٥.

(٩٤) غطفان هي قبيلة ضخمة تنتمي إلى غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

وتنقسم غطفان إلى قسمين هما: بنو عبد الله بن غطفان : كان اسمهم بنو عبد العزى فسماهم النبي ﷺببنى عبد الله ، وبنو ريث بن غطفان . للمزيد راجع :-

http://www.marefa.org/index.php/%D8%BA%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%86

أحمد عبد اللطيف الجدع : تاريخ غطفان وأنسابها ، الناشر : دار الضياء للنشر والتوزيع.

(٩٥) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٥٨.

(٩٦) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٥٨.

(٩٧) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢.

(٩٨) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٦٧.

(١٠٠) للمزيد حول تلك الرسائل وتفاصيلها راجع :- ابن هشام : نفس المصدر ، ج٣ ، من ص ٣٢٩ - ٣٣٩.

عون الشريف قاسم : دبلوماسية محمد ﷺ ، ص ٦٠ - ٩٥.

(١٠١) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٤٤ ، ٤٥.

(١٠٢) ابن هشام ، نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٦٤ ، ٦٤.

(١٠٣) ابن هشام : نفس المصدر ، ج ٤ ، ٥٦ ، ٥٧.

(١٠٤) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٦٠.

(١٠٥) للمزيد عن هذه الرسالة ، ولماذا أرسلها ، وكيف تم اكتشافها ، وعفو الرسول ﷺ عنه . راجع :-

ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٨٥.

(١٠٦) " الحميت " : زق السمن ، و " الدسم " : الكثير الودك ، و " الاحمس " : الشديد اللحم . شبهت هند أبا سفيان بزق السمن لسمنه.

http://www.shiaweb.org/books/om_almoamenin_1/pa59.html

(١٠٧) ابن هشام: نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٦٢ ، ٦٧.

(١٠٨) ابن هشام ، نفس المصدر ، ج٤ ، ص ١١٨.

(١٠٩) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ١٢٢.

(١١٠) للمزيد حول أحداث غزوتى حنين والطائف راجع :- ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ١٢٥.

(١١١) ابن هشام : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٢١٥.

(١١٢) ابن هشام : نفس المصدر ، والجزء ، والصفحة.

(١١٣) هو أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى (٧ ق.هـ - ٥٤هـ) أبوه زيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى ، وكانت كنيته أبو محمد، ويقال: أبو زيد. وأمه أم أيمن إحدى حواضن الرسول ﷺ، فهو مولى للرسول وأبوه مولى قبله، قال ابن سعد: ولد أسامة في الإسلام ، ومات النبىﷺوله حوالى عشرين عاما.سكن وادي القرى ثم نزل إلى المدينة .فمات بها بالجرف وصحح بن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسون . ومن أشهر مواقفه عندما ذهب إلى الرسولﷺليشفع لامرأة مخزومية سرقت فغضب رسول الله ﷺوقال له: "أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟ للمزيد عن أسامة راجع : للمزيد عن أسامة بن زيد راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٩٠. ج٤ ، ص ٦٦. وكان أسامة أخر وأصغر قائد استعمله الرسولﷺ قبل وفاته.

والله ولى التوفيق ،،،،،،